صحافيو العالم المغاربة

طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعا: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

العدد: 645 □ 25 دجنبر 2014

عبدو زيرات يتحدث عن تجربته الإعلامية بكندا

كيف نجحنا في المحافظة على قناة تلفزية إلكترونية موجهة للمغاربة بكندا

بدأ متيما بالصحافة، وكان قدره أن يمتهن التدريس ثم التواصل قبل أن يحرك قلمه في أكثر من جريدة إلى أن هاجر إلى كندا. وبمونتريال استطاع عبدو زيرات أن يؤسس جريدة ورقية ما فتئت أن تحوّلت إلى قناة تلفزية إلكترونية، وهذه قصتها كما يرويها صاحبها.

» حاوره: مصطفى منصور
mansour.most@gmail.com

عبدو زيرات

← كيف كانت بداية علاقتك مع الصحافة؟ وما هي أولى كتاباتك؟

■ تولد لدي الولع بالصحافة في فترة مبكرة من العمر. في دار الشباب والثانوية، كنت أشرف على المجلة الحائطية، وأكتب موادها بخط كان الأصدقاء يعتبرونه جميلا، كما كنت أنظم قصائد وأبيات شعر باللغة العربية التي كنت ومازلت أحبها، وعملت جاهدا على أن أتقنها كتابة وحديثا.

قبل ذلك، وفي أيام الصبا، كانت للوالد مكتبة عامرة، وكنت أستغل موسوعات توجد بها وأنقل منها الكلمات والجمل وأرسمها، فكنت أدرب نفسي لأحسن خطي وأتعرف في نفس الوقت على مضامين هذه الكتب التي كان أبي شغوفا بها.

كتبت مقالات نثرية وقصائد شعرية في المجلات الحائطية. وقتها كنت مولعا بتتبع أخبار هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي راديو"، ومن خلال هذه الإذاعة عالية المهنية كنت أتابع أخبار العالم يوما بيوم وساعة بساعة وأستمتع أيما استمتاع بأسلوب الإلقاء واللغة العربية الموظفة في هذا المنبر الإعلامي بكل سلاسة. ولا أخفيك أنها صقلت موهبتي وحسنت لغتي وقومت طريقة إلقائي وأعانتني على اكتشاف منهج العمل في البرامج المسموعة بمختلف تصنيفاتها السياسية والحوارية...

وفي تلك الفترة أيضا، كان الاهتمام كبيرا بمختلف وسائل الإعلام الناطقة بالفرنسية أيضا، فكنت أتابع "فرانس أنترناسيونال" والإذاعة الوطنية بالفرنسية "شين أنتير"، التي جمعت خيرة الإعلاميين من قبيل سي محمد البحيري وسي علي حسن وسي أليفي حفيظ وآخرين...

كنت كذلك متابعا لإذاعة طنجة ومستمتعا بمستواها الذي طبع في ذاكرة المغاربة، فقد كانت إذاعة البوغاز متميزة وفخرا لطنجة والإذاعة المغربية.

كان الولع بالمهنة يقودني من منبر إلى آخر ومن إذاعة إلى أخرى، وهكذا كنت من أوائل المستمعين لإذاعة البحر الأبيض المتوسط "ميدي 1". ومنذ اليوم الأول لبثها لم تفارق مسامعي هذه الإذاعة التي ضمت خيرة الصحافيين المغاربة والفرنسيين.

هذه هي المدارس التي نهلت منها، إلى جانب الجرائد الوطنية الحزبية التي كنت على الدوام أطلع عليها.

كنت محبا لجريدة "الاتحاد الاشتراكي"، وأعجبت كثيرا بكاريكاتير الرسام الرائع لهذه الجريدة "حمودة"، كان فنانا بما للكلمة من معنى...

كذلك كانت لدي محبة وعشق خاص لجريدة "العلم"، وكنت أتابع صفحاتها الثقافية التي كانت جزءا مهما من الجريدة آنذاك.

← ما هي أول تجربة صحفية خضتها؟

■ أوّل كتاباتي كانت في "لوبينيون دي جون"، عندما كنت أراسل هذه الجريدة الناطقة بالفرنسية، وكتبت في هذا الملحق الخاص بإبداعات الشباب المغاربة محاولات شعرية بلغة موليير.

أولى تجاربي في عالم صاحبة الجلالة كانت في جريدة "العلم" وبالضبط في الصفحة الفنية، وكان ذلك سنة 1992.

لم يمنعني عملي في التعليم، الذي غادرته بعد أربع سنوات بسبب ضيق الأفق، من أن أمتهن الصحافة أيضا وأنا أكتب مواضيع ثقافية وفنية لحساب جريدة "العلم".

بعد سنوات من الكتابة الصحافية في لسان حزب الاستقلال، اخترت التوجه إلى العمل في مجال التواصل، وكنت خلال هذه الفترة شغوفا بالحصول على المعلومة... ولم ينقطع حبل الوصال بيني وبين الصحافة.

وبالنظر لتكويني الفني، فقد درست شعبة الفنون التشكيلية بثانوية جابر بن حيان بالدار البيضاء، وقررت أن أتخصص في الكتابة عن الفنون التشكيلية من منطلق تعريف القراء المغاربة بها، خاصة أنه في فترة التسعينيات كان الإقبال على أروقة ومعارض الفنون التشكيلية شبه منعدم، وهكذا اخترت أن ألعب دور الوسيط والمبسط للفنون التشكيلية للقارئ المغربي العادي الذي لا يعرف الشيء الكثير عن هذا المجال.

لهذا الغرض طورت أسلوبا بسيطا جدا وممتعا، حتى أحبب القارئ في الفنون التشكيلية وأدفعه إلى زيارة صالات العرض والتحدث عن الفن... كنت دائما أدعو إلى تكريم الفن التشكيلي من ناحية الاطلاع عليه وسبر أغوار معرفته واكتشاف تفاصيله.

← هل اقتصر عملك الصحافي على الفنون فقط؟

■ انطلق عملي الصحفي بالكتابة الفنية وبالضبط بالفنون التشكيلية وامتد إلى مجالات أخرى...

إضافة إلى العمل الفني، شاركت في كتابة عدد من المنشورات والمجلات التابعة لمختلف الوزارات المغربية... وكانت هذه الكتابات تتطلب صيغا خاصة للتحرير، وهو ما سمح لي بالاطلاع على عوالم جديدة غير تلك التي تعرفت عليها سابقا.

وهنا جمعت بين موهبتي في التصميم الفني وقدراتي التحريرية. بعد ذلك انقطعت عن العمل الصحفي وتفرغت للعمل التواصلي، لكن الابتعاد نسبيا عن الصحافة لم يحجم قلمي عن الكتابة أبدا.

← بعد ذلك ستعود للصحافة من موقع المغربي المقيم بالخارج؟

■ فعلا، عندما هاجرت إلى مونتريال قضيت وقتا مهما في الاكتشاف والاطلاع على المنشورات والصحف والمجلات هنا. وما أثار انتباهي أو ما صدمني بالأحرى غياب وسائل إعلام مغاربية أو عربية في المستوى، فقد كانت العناوين التي تعنى بمواضيع الجالية العربية عموما لا ترقى على الأقل فنيا إلى المجلات المحلية. ووجدت أن المجلات والجرائد الصادرة في المغرب أحسن مستوى من نظيرتها الصادرة في مونتريال المهتمة بالجالية المغاربية أو العربية...

وبعد هذا الاستنتاج، وبعد سنة من التساؤل عما يمكن أن أقوم به، اخترت أن أبقى في مجال الصحافة وأسست شركة تدعى "ريزون دوبليس"، من ضمن أنشطتها نشر مجلة "M-magazine"، وحرف "M" هنا قاسم مشترك كحرف أول لمناطق المغرب والمغرب العربي ومونتريال.

← كيف كانت البدايات الأولى في مجلة "إم – ماغازين"؟

■ طبعنا في العدد الأول عشرة آلاف نسخة لمجلة مكونة من 32 صفحة ملونة، وقمنا بطبعها لدى أكبر مطبعة.

في البداية كانت المجلة موجهة للجالية المغاربية مع حيز مهم للمغرب، وفي ما بعد قمنا بتطوير هذا العنوان من منطلق قناعتنا بضرورة تحسين صورة المغاربة والعرب عموما في بلدان الإقامة، وهكذا طورنا المجلة إلى أن أصبحت تعنى بالشأن المحلي لإقليم الكيبك دون أن تغفل اهتمامات الجالية العربية والمغاربية على وجه الخصوص.

← ما هي المواضيع التي كنتم تهتمون بها في المجلة؟

■ عالجنا في المجلة وعلى صدر صفحتها الأولى مواضيع اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية لبلد الإقامة، وفي كل عدد من أعداد هذه المجلة كنا نخصص حيزا مهما لتسويق صورة جيدة عن العرب والإسلام والمسلمين بصفة عامة وبطريقة مختصرة، لكن مفعولها كان ملموسا. كنا نخصص هذا الحيز لموسيقيين وفنانين ونماذج مغاربية وعربية وإسلامية صورا غير نمطية عن هذه الفئة من المهاجرين.

كنا كذلك نسلط الضوء على أنشطة

عبدو زيرات يغطي أحد الأنشطة الرياضية

جمعيات الجاليات العربية والإسلامية وننقلها باللغة الفرنسية إلى القارئ العربي وغير العربي.

وتطرقنا لهذه المواضيع بهذا الشكل نتاج مجموعة من الدراسات، وكان الهدف أن نخاطب بطريقة غير مباشرة كل من يحمل صورة سلبية عن هذه الجالية.

← لكن هذه التجربة الإعلامية ستتوقف، ما السبب؟

■ كانت تجربة ناجحة، لكن لم يكتب لها الاستمرار. لقد استطاعت هذه التجربة أن تحظى باحترام وتشجيع من اطلع عليها وتابعها، رغم أننا كنا صحافيين اثنين فقط نشرف على كافة مراحل إعداد المجلة، وكان عملا جبارا، والمطلع على المنتوج كان يعتقد أن وراءه شركة كبيرة وممولا غنيا.

للأسف توقفت التجربة بعد ثلاث سنوات.

← توقفت المجلة وبدأت تجربة جديدة بتأسيس قناة تلفزية على الشبكة العنكبوتية؟

■ لحسن الحظ قبل أن نتوقف عن إصدار المجلة، كنا قد أطلقنا قناة إلكترونية "Web-tv".

انطلق عمل القناة بوسائل بسيطة جدا، ومع اكتساب الخبرة طورنا المضمون وحاولنا ما أمكن الاهتمام بانشغالات الجالية المغاربية والمغربية وفي بعض الأحيان بنظيراتها العربية والإسلامية...

استضفنا في عدة مناسبات وجوهاً من الجالية لتسليط الضوء على قضاياها وهمومها، وهكذا لعبنا دورا مهما خلال الانتخابات الماضية لحث الجالية على المشاركة في الانتخابات والتصويت بإطلاق حملة أسميناها "إن شاء الله جوڤوت" (je vote).

كنا ضمن الفئات الفاعلة والناشطة خلال هذه الفترة والداعية إلى المشاركة في الانتخابات التشريعية بما يصب في المصلحة العامة ومصلحة الجاليات العربية والإسلامية.

وفي هذه المحطة الديمقراطية، أثبتت الجالية قوتها ووحدة صفها وساهمت في الاختيار الديموقراطي الذي تبتغيه لأفرادها.

← كيف تلقت الجالية المغاربية والمغربية برامج هذه القناة؟

■ استطعنا في قناة "M-télé" أن نحقق نجاحات مهمة وأن نوحد المغاربة والمغاربيين حول منتوج إعلامي يحظى بالاحترام والمتابعة من قبل الجالية والمسؤولين المحليين. لقد أضحت "M-télé" أشبه بقناة تواصل بين المسؤولين والمنتخبين من جهة والجالية المتابعة للقناة من جهة أخرى.

وكنا على تمام الوعي بأن الجاليات وخصوصا المغاربية والمغربية تسيء الظن وترتاب من الوافدين الجدد على الإعلام، وتلقي أسئلة مشروعة عن هوية المسؤول عن القناة والممول.

ومع مراكمة التجربة اكتسبنا ثقة الناس التي تزداد يوما بعد آخر، فقد حاولنا ما أمكن أن نظهر أننا قادرون على تقديم خدمة المنفعة العامة، ونلعب دورا يُشرك الجالية ويمنح لهم فرصة للتعبير على أثير قناة خاصة تعنى بشؤونهم، رويدا رويدا تشكلت قاعدة مهمة للمتابعين للقناة.

قوتنا في القناة نكتسبها من القرب تطبيق مبدأ القرب في معالجة المواضيع والواقعية والراهنية والمهنية دون محاباة أو تملق، كما أن حضورنا وعملنا الميداني يجعلنا أقرب إلى مشاهدينا وأكثر واقعية من العمل في المكاتب أو من داخل الأستوديو.

← منذ انطلاقة القناة إلى اليوم، تحسن العرض وتنوعت البرامج، هل لذلك علاقة بملاحظات المتابعين؟

■ فتحنا الباب للتعاليق والانتقادات والملاحظات قصد تطوير المنتوج الذي نعرضه، وهذا الانفتاح على المتلقي سهل عملية بناء الثقة ومتنها.

في القناة سهلنا عملية التواصل مع الجالية، فقد كانت أرقامنا متاحة ومفتوحة على الدوام، وكنا ومازلنا قريبين من هموم الجاليات العربية والمغربية خصوصا ومن انشغالاتها.

وأعتقد أنني استفدت لبلوغ هذا الانتشار من البيداغوجيا التي تعلمت وأنا أستاذ، ومن أساليب التواصل خلال عملي في هذا المجال لكي أقدم عملا صحفيا في مستوى الانتظارات برسائل مبسطة وهادفة.

أستخدم أساليب مختلفة في التواصل كلما اختلفت الفئة المستهدفة، وهذه القدرة على تطويع الرسالة حسب المتلقي لعبت لصالح "M-télé" ولصالح نجاحها.

← في الشهور الأخيرة خصصت برنامجا خاصا للجالية المغربية على القناة، ما هي أصداء هذا المولود الجديد؟

■ فعلا فقد شرعنا مؤخرا في معالجة مواضيع تهم الجالية المغربية ونقدم منتوجا إعلاميا بالدارجة المغربية.

استحسنت الجالية المغربية هذه الفكرة، حيث تعد "M-télé" أول وسيلة إعلام في كندا تخاطب الجالية المغربية بلهجتها وبما يهمها ويهم معيشها اليومي في بلاد المهجر.

"M-télé" استطاعت أن تكون قناة للعائلة بشهادة من يتابع برامجها، فهي تلقي الضوء على اهتمامات الصغار كما الكبار، والنساء والرجال... فتحنا القناة لمعالجة ما يسمى "طابوهات" لم يسبق لأحد على المستوى الإعلامي أن تطرق لها، فقد راكمنا من التجربة ما جعل مصداقيتنا ترتفع لدى المشاهد المتابع لبرامجنا.

وفي حديثي مع الإخوان بالقناة أحثهم دائما على المحافظة على هذه المصداقية التي لا تقدر بثمن، ونعلم جيدا أن أي إشاعة أو أمر مخالف للقيم التي نشتغل على أساسها في القناة يمكن أن يخدش صورتها لدى المتلقي، وبالتالي فنحن حذرون في عملنا، ونحاول أن نكون صادقين مع جمهورنا.

← كم بلغ عدد متابعي القناة على الأنترنيت؟

■ تجاوز مجموعهم أربعة ملايين مشاهد تتبعوا برامجنا على الويب.

هذا الرقم مشرف جدا بالنظر للوسائل البسيطة التي نشتغل بها وبالنظر لغياب أي دعم مالي من أي جهة.

اليوم، الرغبة كبيرة لتطوير هذا المنتوج، حيث نريد أن نشتغل على واجهة بلاد المهجر وواجهة البلد الأصل حتى نلعب دورين فعالين على الواجهتين.

ومبتغانا أن يتابع المغاربة هنا وهناك ما نقدمه من برامج تقرب لهم النظرة الواقعية لحياة ومعيش المغاربة مرّه وحلوه.

نحاول أن نستثمر وجودنا في الميدان والذي أكسبنا كثيرا من المصداقية، ليس فقط لدى الجالية، بل لدى أصحاب القرار في بلاد المهجر، وهذا ينفعنا كجالية في إيصال صوتنا إلى مصدر القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي...

هذه المصداقية التي نوظفها اليوم ثمرة مجهود بذلناه ليل نهار، في العطل الأسبوعية والسنوية وعطل الأعياد... لا لشيء إلا لنكون على ما نحن عليه اليوم.

إنها تضحية نقوم بها بروح مهنية وروح وطنية. ففي كل عمل إعلامي ننتجه يكون المغرب حاضرا بطريقة إيجابية، ولو أن البعض يؤاخذ علينا انتقاد بعض الأمور، رغم أن دافعنا إلى ذلك ليس سوى حب الوطن والغيرة عليه والرغبة في أن نرد قليلا من الجميل الذي نلناه من هذا الوطن.

الانتقاد ضروري إذا كان بناء، وانتقاد الأشخاص والمسؤولين الذي نقوم به جزء من عملنا ولا ريب أنه يصب في مصلحة الجميع. وكل مسؤول يجب أن يؤدي دوره ووظيفته، وإلا فإنه معرض للانتقاد المرتبط بمهامه المهنية.

عبدو زيرات مع الفنانة "أوم"

عبدو زيرات أمام الميكروفون